Journal of Humanitarian and Applied Sciences – مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
(رقم الإيداع المحلي - 2020/95) – (ISSN: 2706 – 9087) - (معامل التأثير العربي شهادة رقم: 472 – 2020)
كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار – جامعة المرقب
Volume 8 – Issue 16 المجلد 8 – العدد 16

قراءة في إشكاليات الفتح الإسلامي لبرقة*(22هـ_ 642 م)
" صلح لواتة " نموذجاً

زينب عبد الله كرير
استاذ مشارك كلية الآداب والتربية / جامعة صبراتة

Received: 01/11/2023 | **Accepted:18/11/2023**

(A reading in the problems of the Islamic conquest of Barqa 22 AH / 642 AD "Saleh Loata" as a model)

Abstract

Extrapolating a number of historical narratives of the Arab-Islamic conquest of Cyrenaica in the first century AH / seventh century AD, makes us stand at some circumstances that may provoke wonder or disgust, and that may not conform to the approach of wise law, which is to respect human rights in dealing with the other. Therefore, the choice of the title of the research topic was: (Reading in the problems of the Islamic conquest of Cyrenaica 22 AH / 642 AD "Reform of Loytah" as a model), to find out the essence of this topic and its details according to the agreed historical research method.

The research includes important and vital problems in the Islamic history of Libya, the most important of which are:

* Stand up for the rapid advance of the Arab Islamic Army led by "Amr bin Al-Aas" towards Cyreqa immediately after the opening of Alexandria?
* Peace of Luate, what are the origins of this tribe? And what is its position among other Berber tribes to lead the historical event by reconciling with Amr bin Al-Aas? And did Muslims know the Berbers before this event?
* The main problem here in one of the conditions of the peace is the sale of the Al-Walwali to their children in case they are unable to pay the jizya to Muslims! And the question raised here: How is the justice of the religion of Islam and the sale of fathers to children and their bargaining in the dearest and most precious thing they have?!! How do we explain that and the principles of Islam came to lift the injustice of the people?!!
Can we doubt the narratives contained in many mothers of historical books - which may be turbulent or repetitive or both! - or whether the historical consensus on the event makes us confirm its occurrence under any justification!!
* The conclusion of the study was followed by a set of important recommendations that serve the Libyan library.

ملخص بحث :

إنّ استقراء عدد من الروايات التاريخية للفتح العربي الإسلامي لبرقة في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، يجعلنا نقف عند بعض الملابسات التي قد تثير التعّجب أو الاستهجان ، و التي قد لا تتفق و منهج الشرع الحكيم الموجبة لاحترام حقوق الإنسان

في التعامل مع الآخر . و بالتالي كان اختيار عنوان موضوع البحث : (قراءة في إشكاليات الفتح الإسلامي لبرقة 22هـ /642 م " صُلح لواتة " نموذجاً) ، للوقوف على كُنه هذا الموضوع وتفاصيله وفق منهج البحث التاريخي المتفق عليه .

يتضمّن البحث إشكاليات هامة و حيوية في تاريخ ليبيا الإسلامي ، و من أهمها :

* الوقوف على مبررات التقدّم السريع للجيش العربي الإسلامي بقيادة "عمرو بن العاص " نحو برقة مباشرة بعد فتح الإسكندرية ؟

* صلح لواته ، ما هي أصول هذه القبيلة ؟ و ما مكانتها بين غيرها من قبائل البربر لتتصدّر الحدث التاريخي بالتصالح مع عمرو بن العاص ؟ و هل تعرّف المسلمون على البربر قبل هذا الحدث ؟؟

* إن الإشكالية الرئيسية هنا في إحدى شروط الصلح هي بيع اللواتيين لأبنائهم في حال عجزوا عن دفع الجزية للمسلمين ! و السؤال المطروح هنا : كيف تتفق عدالة دين الإسلام وبيع الآباء للأبناء و مساومتهم في أعز و أغلى ما يملكون ؟!! كيف نفسّر ذلك و مبادئ الإسلام جاءت لرفع الظلم عن الأهالي ؟!!

هل يمكننا التشكيك في الروايات الواردة في كثيرٍ من أمهات الكتب التاريخية – التي قد تكون مضطربة أو متكررة أو الاثنين معاً ! – أم أن الإجماع التاريخي على الحدث يجعلنا نؤكد حدوثها تحت أي مبرر !!

*تلت خاتمة الدراسة مجموعة من التوصيات الهامة التي تخدم المكتبة الليبية .

الكلمات المفتاحية: الفتح الإسلامي، برقة، صلح لواتة.

المقدمة :

إنّ دراسة الجغرافيا السياسية لليبيا زمن الفتح الإسلامي تُعدّ من الدراسات الصعبة و الدقيقة ؛ لأننا نتعامل مع منطقة واسعة مترامية الأطراف ، يقطنها مجموعات بشرية مختلفة الأصول العرقية و الدينية و الفكرية ،تصارعت عليها عبر التاريخ قوىً مختلفةٌ من اللاتين و الفنيقيين و الرومان و الوندال و البيزنطيين ، كل هؤلاء ظلّ نفوذهم محصوراً على الساحل الليبي، مرتبطاً بقلاعهم الحصينة التي كان لها دلالاتها التاريخية من عدم الامتزاج بالآخر، إذ أنّ كل هؤلاء المستوطنين الأغراب لم يتعايشوا بالسكان المحليين " البربر " الذين آثر معظمهم الحياة بالدواخل حفاظاً على استقلاليتهم و حريتهم ، في حين بقي بعضهم في الساحل تحت الروم يُعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية " و صارت البربر لهم ذمة "– على حد قول ابن أبي دينار (المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ، ص22) – ، و ظلّوا كذلك إلى أن دخل المسلمون برقة بعد فتح الإسكندرية ، و كان لهم شأن مختلف مع سكانها!

إنّ استقراء عدد من الروايات التاريخية (البلاذري (أبي الحسن أحمد بن يحي ،) فتوح البلدان، ، 1991 ، ص 225/ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 1989م ، ج 2 ، ص194 / البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، ص 11 ، 12 ، 13) للفتح العربي الإسلامي لبرقة في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، يجعلنا نقف عند بعض الملابسات التي قد تثير التعّجب أو الاستهجان ، أو الاثنان معاً! و يصاحبها التناقض من جهةٍ أخرى ، الذي لا يتفق و منهج الشرع الحكيم برفع شعار المسالمة و الحرية و احترام حقوق الإنسان في التعامل مع الآخر . و بالتالي كان اختيار عنوان موضوع البحث : (قراءة في إشكاليات الفتح الإسلامي لبرقة 22هـ /642 م " صُلح لواتة " نموذجاً) ، للوقوف على كُنه هذا الموضوع وتفاصيله وفق منهج البحث التاريخي المتفق عليه .

الإطار المكاني لموضوع البحث هو الشرق الليبي فيما عُرف بالمصادر التاريخية بـ " برقة " أو " أنطابلس " وما حولها .أما الإطار الزماني فهو أواخر العام (21هـ – و أول 22هـ/641-642 م) زمن الفتح الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص ، على عهد الخليفة "عمر بن الخطاب " (13هـ- 23هـ /634-644م) . {**ذكر بعض المؤرخين أن اسم برقة "Barca" ورد لأول مرة في تاريخ هيرودوت، وظهر في التسمية تأثيراً مصرياً فرعونياً واضحاً، فالكلمة –برقة–من الجائز أن تكون مركبة من كلمتين مصريتين قديمتين هما: "بر" ومعناها بيت أو معبد، و"كاو " ومعناها " القرائن " .. أو القرين ... والـ"كا".....عالم ما بعد الحياة، ...وسيد هذا البيت هو " إزيريس" إله الغرب وملك عالم ما بعد الحياة . لمزيدٍ من التفاصيل ، أنظر: محمد مصطفى بازامه : تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية، ضمن أعمال المؤتمر التاريخي" ليبيا في التاريخ "، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي، 1968،ص88 / و برقة هي التسمية العربية التي أُطلقت على الإقليم بعد الفتح الإسلامي لها ووردت في وصف البكري (أبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز ، ت.487هـ) لها قائلاً : " برقة و اسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس ، تفسيره خمس مدن ..." للمزيد ، انظر ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، تح : حماه الله ولد السالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2013 م ، ط 1 ، صـ10}

* يتضمّن البحث إشكاليات هامة و حيوية في تاريخ ليبيا الإسلامي قلّ ما توقف عندها البُحاث و المهتمين ، و من أهمها :

*الوقوف على مبررات تقدّم قائد الجيش العربي "عمرو بن العاص " نحو برقة مباشرة بعد فتح الإسكندرية أواخر العام 21هجري يطرح تساؤلات عدة : أكانت خطوة التوجه العسكري الجريئة و السريعة نحو البلاد الليبية مُخطّط لها؟؟ وأنّ فتح برقة ضرورة حتمية باعتبار أنها تتبع مصر سياسياً وإدارياً آنذاك؟! ، أم أن الغزوات جاءت عفوية وارتجالية بحكم امتداد الأراضي وتلاحقها ببعضها دون عائق جغرافي يعيق تقدم الجيش و فرسانه ؟ و هل كان فتح كل إقليم يقتضي تأمين حدوده بالتوغل إلى الإقليم الذي يليه دون قراءة للعواقب ؟! وهل شجع تجاوب سكان المنطقة العرب المسلمين على التجربة ؟!

تناولْ المؤرخين المسلمين آنذاك للمنطقة – موضوع البحث – تارة باسم " أنطابلس " وتارة أخرى " برقة " ،فهل كانت برقة هي الإقليم وأنطابلس هي المدينة ؟ أم العكس؟ أم أن هناك لَبس لدى مؤرخي العرب والمسلمين نتيجة تخريب المدن الذي خلفه الاجتياح الوندالي للشمال الإفريقي و نشؤ مدن أخرى ؟؟ و تأخر توثيق أحداث الفتح بما يزيد عن قرنين من الزمن بعد وقوع الحدث التاريخي بالمنطقة !! .

* لواته ، ما هي أصول هذه القبيلة الأمازيغية ؟ و ما مكانتها بين غيرها من قبائل البربر لتتصدّر الحدث التاريخي بالتصالح مع عمرو بن العاص ؟ و هل كان هناك أسباب قوية و منطقية جعلت زعماء لواته يتصالحون مع دخيلٍ جديد على أراضيهم ، دون أن يكون هناك استبسال على أرض المعركة مع الخصم ؟!

* إن الإشكالية الأكثر غرابة في إحدى شروط الصلح هي بيع اللواتيين لأبنائهم في حال عجزوا عن دفع الجزية للمسلمين! ، والسؤال المطروح هنا : كيف تتفق عدالة دين الإسلام وبيع الآباء للأبناء و مساومتهم في أعز و أغلى ما يملكون ؟؟ فلذات أكبادهم !! ، كيف نفسر ذلك و مبادئ الإسلام جاءت بالقيم الأخلاقية النبيلة لرفع الظلم عن الأهالي ؟!! فهو دين الحرية لا الرق ؟ و مبادئه لا تُهين كرامة الإنسان ؛ بل تكرمه و تنصفه و تحترم آدميته.

ما حقيقة تشويه الإسلام بإثارة هذه النقطة " بيع الأبناء في صلح لواته " من قِبل متصيدي الشبهات من المستشرقين ؟؟ ، واتهام بعض قادة الفتح بعدم النزاهة واستعباد الأهالي بطريقة غير إنسانية خلقت نوعاً من خيبة الأمل لدى السكان المحليين الطامحين لرفع الظلم و الجور المُمارس عليهم لسنوات طويلة من الروم البيزنطيين!

هل يمكننا التشكيك في الروايات الواردة في كثيرٍ من أمهات الكتب التاريخية – التي قد تكون مضطربة أو متكررة أو الاثنين معاً ! – أم أن الإجماع التاريخي على الحدث يجعلنا نؤكد حدوثها تحت أي مبرر !!

أسباب اختيار الموضوع :يكاد يُجمع الكثير من الأكاديميين أنّ المكتبة العربية عامةً تفتقر إلى مراجع و أبحاث تختص بالتاريخ الليبي المفصّل ، فالكثير مما موجود فيها يعتبر غيضٌ من فيض أمام مواضيع عدة تتعلق بتاريخ ليبيا بكل عصوره و مراحله ، تم التركيز فيها عن الجانب السياسي من الغزوات المتوالية والحروب الطاحنة والثورات المتتالية ،دون الخوض في علاقة ذلك بالتاريخ الاجتماعي و تأثيره على المجال الاقتصادي بالبلاد .

أمام ذلك تحاول هذه الدراسة لفتْ انتباه المختصين والمهتمين لضرورة التركيز على قضايا التاريخ الليبي الاجتماعي و الاقتصادي التي لازال الكثير منها يكتنفه الغموض و التهميش ، خاصةً فيما يتعلق ب التركيبة " الديموغرافية " للشرق و الغرب الليبي على السواء ، وتأرجح الآراء بين مؤيد و معارض للأصول العربية أو الأمازيغية للمنطقة ، و معلومات كثيرة تتعلق بالإشكاليات اللصيقة بحدثِ ما –كموضوع الدراسة – التي لازالت مبعثرة في بطون الكتب وتحتاج إلى بحث و جمع و تدقيق و تنسيق للخروج بنتائج علمية رصينة و جادة.

اعتمدت هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي الوصفي ، والتحليلي واستقراء النصوص التاريخية من الحوليات الإسلامية التي دوّنت تاريخ الفتح العربي الإسلامي المبكر أيام الخلفاء الراشدين بعد مضي قرنين على حدوثها ! ؛ الأمر الذي يجعلنا نتعامل بحذر مع المادة التاريخية و أسانيدها، و الوقوف كذلك على المراجع الحديثة و الدراسات المعاصرة التي كان لأصحابها وجهات نظر فريدة ذات قيمة علمية مميزة .

الدراسات السابقة للموضوع تتعلق بالفتح الإسلامي لبرقة ، والذي تناولته العديد من الكتب التاريخية ، حيث زخرت التراجم والأنساب بزخم معلوماتي كبير للأحداث و الأعلام والقبائل ، ساعد ذلك على إثراء الدراسة بشكلٍ عام ، والتعرّف على أصول القبائل المذكورة بالبحث بشكل خاص ، والذي يُعدّ" عبد الرحمن بن خلدون" ت .732هـ مصدراً مهماً ووثيقاً لذلك ، و قد اعتمد بدوره بشكل كبير على الكِتاب الشهير لابن حزم " ت.456هـ "جمهرة أنساب العرب " ، الذي استقى معلوماته من علماء أنساب و مؤرخين مشهودٌ لهم بالعلم و النزاهة .كذلك سجلت كتب الرحّالة معلومات هامة عن الجغرافيا البشرية وتاريخ الأقاليم و " الببلوغرافيا المجتمعية "مصحوباً بتفاصيل تخدم الحدث التاريخي وتساعد على فهمه .

لقد استفادت الدراسة من بعض المراجع الحديثة المتعلقة بالتاريخ الليبي بالخصوص . ومن أهمها – على الإطلاق – كتاب الأستاذ "محمد مصطفى بازامه – رحمه الله – " ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين " ، الذي تعرّض لمسائل عديدة لتاريخ الفتح الإسلامي للمنطقة و طرحها للنقاش بالتحليل الرصين لشتى قضاياه ، و ساعد ذلك على إثراء البحث و الوقوف على عديد الإشكاليات التي تهم الموضوع .

من أهم المراجع الحديثة للتاريخ الليبي كتاب " شارل فيرو" "الحوليات الليبية ، منذ الفتح حتى الغزو الإيطالي " ترجمه عن الفرنسية د. محمد عبد الكريم الوافي – رحمه الله – والذي يعدُّ من أهم و أشمل المراجع للمكتبة الليبية ، إذ أنه غني بالمعلومات و مزدحم بالتفاصيل ! ، و رغم دسامة الطرح المعلوماتي لفترة الكتاب " منذ الفتح العربي حتى العهد العثماني الثاني " ؛ إلا أننا نجد المؤلف أختصر فترة الفتح الإسلامي و الحكم العربي لليبيا في فصلٍ واحد !! ، و لم يراع تفصيل أحداثها بما فيه التوازن مع الفصول الأخرى لحقب التاريخ الليبي ككل.

كما ننوّه إلى أهمية دراسة معاصرة ل د.عبد الواحد ذنون طه ، الفتح و الاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا و الأندلس ،كتب برؤية موضوعية متجردة ، و اهتم بالتركيز على روايات دقيقة حول أسماء القبائل التي خرجت بجيوشها أثناء حراك الفتح لمصر و الانطلاق من برقة نحو البلاد المغاربية ، ليكون ذلك بدء الاستقرار المبكّر للعرب بالشرق الليبي ، يليه الاندماج المرحلي بينهم و بين السكان المحليين " البربر" ، الأمر الذي ساهم في عروبة المنطقة و أسلمتها.

لعل أهم العقبات التي واجهت البحث، هو أنّ التاريخ الليبي في الحقبة الإسلامية في القرن الأول الهجري ، لم تكن له الحظوة من قبل البُحّاث و المهتمين في العصر الحديث و المعاصر ، عدا بعض الدراسات التي كان لها الفضل في إثراء المكتبة العربية .ولعل كثيرٍ من الأخبار المتعلقة بليبيا في العصر الوسيط قد أُتلفتْ مخطوطاتها نتيجة عوامل عديدة كسوء التخزين أو تأثير الكوارث الطبيعية و الحروب المتتالية ..الخ ، و ذلك ساهم في أن تبقى تفاصيل دقيقة غير معلومة ، أو لا يمكن الجزم بكُنهها !و لليوم لازالت كثير من النقاط الغامضة في التاريخ الليبي تحتاج إلى جدية ، و دراسات معمقة و حيادية للوصول إلى الحقيقة التاريخية .

عنوان الموضوع : (قراءة في إشكاليات الفتح الإسلامي لبرقة 22هـ / 642 م " صُلح لواته " نموذجاً)

عناصر الموضوع : – المقدّمة– برقة ، جغرافية المكان – الجغرافيا البشرية لبرقة

– تمهيد تاريخي – الأصول التاريخية لقبيلة لواته

– الفتح الإسلامي لبرقة ضرورة إستراتيجية مُلحّة .

– صُلح لواته ، قراءة في الإشكاليات .

– الخاتمة .التوصيات

– هوامش البحث .

بــرقة ، جغرافية المكان:

" بَرَقَةُ : بفتح أوله والقاف : إسم صقع كبير يشتمل على مدنٍ و قرى بين الإسكندرية وإفريقية ... و اسم مدينتها أنطابلس ، و تفسيره الخمس مدن ،.. و بين الإسكندرية و برقة مسيرة شهر " على حد ذكر ياقوت الحموي (3)(معجم البلدان ، ج1، صـ 388- 389) أن ببرقة وحدتين إداريتين وثيقتا الصلة بالإسكندرية ، الأولى: " لوبية " ووصفها بأنها مدينة بين برقة والإسكندرية، والثانية " مُراقية " التي تنتهي بانتهاء أرض برقة غرباً ، فنجد ابن الأثير (4) يصفهما على أنهما "كورتان من كور مصر الغربية " !(الكامل في التاريخ ، ج2 ، صـ194)، و من المعلوم أن الحدود بين إقليم برقة وأرض مصر غير واضحة المعالم ؛لأنّ الامتداد الطبيعي لأرض مصر نحو الغرب دونما فواصل تضاريسية يعيق ذلك التحديد بينهما ، أما في الجنوب فتتداخل الصحراء بين كل من مصر وبرقة بحيث تزول معها الحدود بين الإقليمين ، وهذا ما دعا بالمؤرخين لإطلاق اسم " الصحراء الليبية" على صحراء مصر وليبيا

وردت برقه عند معظم كتب الرحالة المسلمين (مثل ، البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، ص11،12 ، ، ابن حوقل ، المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، 179،181، أما اليعقوبي (البلدان ،صـ 181) فإنه يحدّد بداية ليبيا بالبقاع المتاخمة لحدود مصر الغربية " ، و يقول إنها " أول منازل البربر، يسكنها قوم من مزاته وغيرهم من العجم القدم ، و يعني بهم بقايا اللاتين الذين استوطنوا برقة منذ القرن السابع قبل الميلاد . و قد تكلم عن برقة بمفهومين:

الأول، برقة المدينة أو الحاضرة التي بها الدُور و الأرباض وأخلاط من الناس، ويحددها بوقوعها بين جبلين، شرقي وغربي.

أما الثاني: برقة الولاية ، و تضم أقاليم عدة أهمها برنيق " بنغازي اليوم" ، واجدابيا، وتمتد الولاية حتى " تاورغاء " (الواقعة غربي سرت) الحالية باعتبارها آخر حد لبرقة في اتجاه الغرب.

يقول المقدسي (مصدر سابق / صـ181) إنّ :" برقة قصبة جليلة عامرة نفيسة ،كثيرة الفواكه والخيرات والأعسال مع يسار " من اليسر و الغنى " ، وهي ثغرٌ قد أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع ..ذات تربة حمراء .شربهم من آبار وما يحوونه من أمطار ..يحسنون إلى الغرباء ، أهل خير و صلاح.

وفي لسان العرب (ابن منظور ، ، ج1، صـ393) " سُميت برقة كذلك " لأنها أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل" ، لأنّ أصل البَرْقة في كلام العرب (الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان) ، فأسموا برقة بهذا الاسم لما رءوا الحجارة المختلطة بالرمل، وقيل لوجود حجارة شديدة البياض يعرفها العرب في جزيرتهم ويسمونها برقة، و لاحظ البكري ذلك (المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، ص11،12)، فقال (" برقة في صحراء حمراء التربة و المباني ، فتحمّر لذلك ثياب ساكنيها .." .

كان موضع حاضرة برقة في القدم حيث مدينة " المرج الحالية " بالجبل الأخضر ، التي تمتاز بخصوبة أراضيها واخضرار مروجها و كثرة خيراتها التي شهدت بها كتب بعض الرحالة ". وهي كثيرة الخير..و ...مراعيها و أكثر ذبائح أهل مصر منها ، و يُحمل منها إلى مصر الصوف و العسل ..كثيرة أصناف الفواكه .." (المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، ص11،12)

الجغرافيا البشرية لبرقة :

شأن البربر في تركيبتهم الاجتماعية شأن العرب ، قبائل وأفخاذ تتصل ببعضها بروابط دموية قد تكون صحيحة أو منتحلة، وأشهر الروايات المتحدثة عنهم نجدها عند ابن عبد الحكم (فتوح مصر و أخبارها ، صـ170) ، وابن سعيد (المغرب في حُلي المغرب ، 2003، صـ 44) والبكري (المسالك و الممالك ، صـ249) ،وأورد اليعقوبي (البلدان ، مج 1، صـ190) تفصيلات دقيقة حول قبائلهم ومواطن تجمعهم، فقد " أنحاز أكثرهم إلى افريقية و المغرب واستوطنوا البلاد سهلها و وعرها .." على حد ذكر ابن أبي دينار (المؤنس في خبر إفريقية و تونس ، ص22) وعرّج على ذكر الطوائف الأخرى التي كانت تقطن معهم البلاد وأهمهم اليونان الذين أقاموا دولة لهم بـ "بنتابولس " زهاء ستة قرون، وانتشرت معها ثقافتهم و لغتهم، و لربما انصهر بعضهم بالسكان و تعايشوا مع المجتمع (للمزيد أنظر : البرغوثي ، عبد اللطيف ، التاريخ الليبي القديم ، صـ489).

استقطبت برقة عبر التاريخ العديد من الأجناس الوافدة، قُدّر لبعضهم أن يعمروا البلاد لقرون خلت ، وأهمهم " الرومان الغربيين " الذين جاءوا كمستعمرين للمنطقة و توافد معهم عناصر جديدة من أجناس مختلفة من " المترومنين" كانوا يعملون تحت سلطة الإمبراطور بالجيش البيزنطي، وكانت الديانة الرسمية هي المسيحية بتأثير السلطة الرومانية الحاكمة للبلاد،و رغم أنّ المعبودات الفينيقية واليونانية والمصرية الوثنية كانت موجودة بين العامة في الدواخل؛ إلا أنّ الأهالي المستقرين بالساحل تحوّل عدد منهم إلى المسيحية

(البرغوثي ، عبد اللطيف ، التاريخ الليبي القديم ، ص489).لعله خوفاً من بطش الروم أو محاباةً لهم حتى يأمنوا على أنفسهم ، أو سداً للفراغ الروحي أو الديني الذي كان لديهم !

ننوّه هنا أن المسيحية في برقة ارتبطت بكنيسة الإسكندرية ارتباط وثيق، وذلك أمر طبيعي بحكم ارتباط برقة آنذاك بالإسكندرية سياسياً وإدارياً . ووجدت المسيحية أرضاً خصبة في برقة لدرجة أن " مرقص المبشر " الأول بها يُنسب إلى برقة، وإليه يرجع الفضل في إنشاء أول كنيسة ببرقة ،كما ينتمي " آريوس" إلى طلميثة ، وإليه يُنسب المذهب الآريوسي الذي أجّج نار الفتنة والحرب بين أباطرة الروم و الوندال (زحير ، هاني ، الصراع على العرش في بيزنطة ...،ص387)

كما يجب ألا ننسى أن الجالية اليهودية كان لها موطئ قدم بالأرض الليبية، وكانت لهم بيعهم ومعابدهم، ويذكر بعض المؤرخين (البرغوثي ، عبد اللطيف ، التاريخ الليبي القديم ، ص489 / بازامه ، محمد مصطفى ، تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية و اليونانية، ص88) أنهم أثناء تعرضهم لمضايقات الأباطرة أو ممارسة ضغوط عليهم تمنعهم من أداء طقوسهم وعباداتهم وتضّيق عليهم تحركاتهم ، فرّوا للدواخل حيث أهالي المنطقة " البربر " فعاشوا بين ظهرانيهم، وأفرز ذلك نوعاً من الاندماج المجتمعي؛ بدليل مشاركة البربر في الثورة العارمة لليهود ببرقة ضد الإمبراطورية الرومانية عام 115م (بازامه ، تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، ص59).

شكّل النصارى الأقباط فئة أخرى لها خصوصيتها بين سكان برقة ، و هم امتداد لأقباط مصر إخوانهم في المذهب الأرثودكسي ***، وذكر هؤلاء الأقباط بعض مؤرخي المسلمين (ابن خلدون ، العِبر...) في فترة متأخرة تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري بمنطقة " إجدابيا " ، و ذكروا أنهم كانوا متعايشين مع بربر "لواته". و لاحظوا عليهم يُسر الحال والغنى المادي ، الذي كان من أسبابها المتاجرة بين مصر وليبيا، و توسط المنطقة لتجارة الساحل والصحراء جنوب أفريقيا .

إنّ المطالع لتاريخ الشرق الليبي يُكوّن فكرة واضحة المعالم عن توافق ملامح المجتمع " البرقاوي" أو "البنتابولسي" والذي كان يشبه إلى حد كبير مجتمع الإسكندرية، حيث كان مجتمعاً فسيفسائياً يضم خليطاً من شعوبٍ وحضاراتٍ تضمهم دولة مستبدة ، فيه قبائل ثائرة على الدولة ، وحكامها متصارعين على السلطة، ليست بينهم وحدة على الأرض ، ولا شعور بالانتماء ، نتيجة الاختلاف العقدي و التعدد المذهبي ، حتى جاء الإسلام لهذه الأقوام بخيارته الثلاث (الإسلام ، الجزية ، القتال) ، و كان الخيار لهم !.

تمهيد تاريخي :

أدى الاتساع الكبير لليبيا وطبيعتها الصحراوية مع صعوبة المواصلات بها ، وقلة كثافتها السكانية ، وعدم اتحاد قبائلها إلى ضعف البلاد وعدم قيام سلطة مركزية قوية فيها، الأمر الذي أتاح للغزاة فرصة التغلب عليها دائماً و النيل منها بسهولة. أمام ذلك استوطن الإغريق برقة، وتطورت مدن الساحل تحت تأثير حضارتهم، في الوقت الذي ظلت فيه الدواخل بعيدة عن مؤثرات التمدن و الحضارة، ومتمتعة بما يشبه الاستقلال الفعلي عن حكم الروم البيزنطيين.

لقد تم تقسيم برقة في العهد البيزنطي إلى ولايتين على عهد الإمبراطور ٠" ديوقلتيان" (284-305م) ،وهى ولاية ليبيا العليا والمتضمنة المدن الخمس "بنتابولس " وقد حرفها العرب إلى "انطابلس" و ذكرتها المصادر الإسلامية بهذا الاسم (مؤنس ، تاريخ المغرب و حضارته ، ص69،71،/ جون رايت ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ص63).

وتأكيداً على أهمية برقة بالنسبة للإسكندرية وأمن البيزنطيين بها مُنحت لحاكمها صلاحيات مدنية وعسكرية أيام الإمبراطور " جستنيان الأول"(518 – 610 م) نظراً لما كانت تتعرض له الحدود من غارات البدو، وما تبعها من قلاقل أمنية، الأمر الذي أثار

غضب الولاة والحكّام بها؛ لأنهم يعلمون أن المحافظة على هدوء إقليم برقة كان يعني تأمين الوجود البيزنطي بمصر ومن بعد المحافظة على المنصب الإداري والسياسي وامتيازاته (مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، صـ71،70/ للمزيد حول العلاقات السياسية الإسلامية – البيزنطية ، انظر: وديع ، فتحي ،العلاقات السياسية بين بيزنطية و الشرق الأدنى الإسلامي ، ص70،69).

ساعد هذا الوضع المتردي عبر السنين على تكرار الثورات الشعبية للأهالي الرافضين للوجود البيزنطي الضعيف ، ما أدى إلى ثورة في بلاط القصر ببنتابولس"بزعامة"هرقل الأب "حاكم إفريقية على عهد الإمبراطور"فوكاس"602م للسيطرة على العرش ، وقاد تلك الثورات " هرقل الابن " –الذي عاصره المسلمين إمبراطوراً للشام ومصر إبّان الفتوحات الإسلامية–"وشريكه القائد " نيقتاس" الذي أول ما فكر فيه هؤلاء القادة هو الاستيلاء على الإسكندرية ، ومن بعد على مصر، ليتمكنوا من منع إرسال الإمدادات البحرية و المؤنة الاقتصادية التي كانت تنعم بها العاصمة البيزنطية من خيرات وادي النيل خاصةً القمح ، مما زاد في حالة الغليان و الثورة داخل العاصمة البيزنطية. (زحير ، الصراع على العرش في بيزنطة ، صـ387) .

إن الاستيلاء على الإسكندرية معناه حماية ظهر شريك" هرقل" بـ" أنطابلس"، وبالتالي تكون الإسكندرية هنا هي صمام الأمان لبرقة ، هذا فضلاً عما تمثله مصر بموقعها الاستراتيجي في الجناح الآسيوي و قربها من العاصمة القسطنطينية و أسطولها البحري الذي يسعى كل حاكم أن يضمه وأن يمثله ، فضلاً عن خيراتها الاقتصادية الداعمة لبيزنطة ، أمام كل تلك الحوافز زحف هرقل ونيقتاس عام 609م بجيش جرار لحصار الإسكندرية ، الأمر الذي جعل برقة لقمة سائغة للفرس ! ، حيث أن جميع مقومات الدفاع من شباب وسلاح وتحصينات كانت غائبة، فعاث الفرس فساداً في برقة واستقروا بها ما يزيد عن عشر سنين!، وبعد استقرار الأمور بالقسطنطينية عادت إلى حكم الإمبراطور هرقل بعد ضريبة باهضة من الظلم و سفك الدماء و ظلم الأهالي في الفترة قُبيل وصول المسلمين إليها في القرن السابع الميلادي (زحير ، الصراع على العرش في بيزنطة ،صـ387).

أصول قبيلة لواته التاريخية :

" لواته قبيلة كبيرة استوطنت برقة و طرابلس منذ عصور قديمة، وقد أُختلف في نسبها ، فمنهم من يؤكد أنها عشيرة كنعانية من نسل مزيغ بن كنعان و منهم من يثبت أنها من نسل برّ بن قيس بن عيلان العدنانية ، والمتفق عليه أنها قبيلة قدمتْ من شبه جزيرة العرب ، و نشأت منها عمائر عدة ...و من هذه العمائر التي انتشرت في ليبيا و بالتحديد في أوجلة و و المرج و سرت و تاورغاء و لبدة و مسلاتة و الزاوية الغربية و برقة خلال عهدي الإغريق والرومان و تفرعت منهم بطونٍ و أفخاذٍ عدة ..وكان للواته دورٌ هام في تاريخ البلاد الليبية ، فقد كانت تُشكّل مع هوّارة و زناتة و صنهاجة و غيرها من القبائل قوة ضاربة في وجه الغزاة الإغريق و الرومان " (منّاع ، محمد، الأنساب العربية في ليبيا ،صـ 63).

و لواته إحدى قبائل الأمازيغ الكبرى من بربر البتر ، و تنتسب إلى " لوا الأصغر " نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادغيس الأبتر . أصل الاسم " لوا" و زيادة الألف و التاء للجمع – على حد ذكر ابن خلدون (أمازيغ الجزائر ، ليبيا ، مغرب ، تونس، موريتانيا . الشبكة الدولية)– فصارت لوات ، فلما عرّبته العرب حملوه على الإفراد ، و الحقوا به هاء الجمع" و هناك زعمٌ بأن لواته ترجع في أصولها إلى قبيلة " الليبو " إحدى القبائل الليبية البائدة ببرقة ! و قد صرّح الكاتب " فرنسيس رود" في كتابه " الطوارق الملثمين " حيث قال " أن قبائل لواته التي عرفها العرب أول ما عرفوا ليبيا هي بعينها قبائل " الليبو القديمة" التي كانت تسكن ليبيا الشرقية " (الشبكة الدولية ، منتديات الجلفة لكل الجزائريين و العرب " حول هوية الأمازيغ)

وردت لواته في كتاب " سكان طرابلس الغرب (الارناؤطي ، إسماعيل ، ص24-25 " الشبكة الدولية) " بأنها " تنقسم إلى فرعين : أحدهما كان يقيم في برقة و يتقدم نحو طرابلس حتى لبدة . والآخر باسم "نفزاوة "كان يعيش جنوب قابس و قفصة . و تنحدر من لواته قابس أسرة " بني مكي" التي استقلت بقابس في عهد السلاطين الحفصيين و افتدوا طرابلس من أيدي الجنويين ... و في يومنا هذا توجد في مسلاّتة و في تاورغاء قبيلتان صغيرتان تحملان اسم لواته " .

تردد ذكر لواته في الكثير من المصادر العربية الإسلامية (ابن خلدون ، العبر ، مج 6 ، صـ 118،119) ، و كتب بعض الرحالة و الجغرافيين ، و لا تكاد كتاباتهم تختلف عن بعضها البعض ؛ إلا أنّ اليعقوبي (تاريخ اليعقوبي، مج 1 ، صـ190) يذكر أنّ لواته أول من ملك منهم " بأرض يُقال لها إجدابية من جبال برقة "، وملكت مزاتة في أرض ودان ، و هوّارة بطرابلس ، " و تنتهي ديار مزاتة في تاورغة ، حيث تبدأ ديار هوّارة التي تزعم أنها من القبائل القديمة ، و أنّ مزّاتة و لواتة كانوا منهم ! ثم ..صاروا إلى برقة ، ...و ترى هوارة أنها قومٌ من اليمن جهلوا أنسابهم !" (اليعقوبي ، البلدان ، صـ344/ تاريخ اليعقوبي ، صـ190)

و لما كان من عادة القبائل عامةً التنقل المستمر ، فإنه ابتداءً من النصف الأول من القرن الرابع الهجري و حتى اواخر القرن الخامس الهجري ، نجد أنّ منازل هذه القبائل تختلف عن منازلها في القرن الثالث الهجري ، و ذلك لحركة القبائل المستمرة " (المزيني ، صالح ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى الخلافة الفاطمية ، صـ172)

إن تصفح المادة التاريخية حول قبائل البربر أيام صدر الإسلام الأول ، يجعلنا نتساءل : هل كان " البربر الأمازيغ " مجهولين بالكُلّية بالنسبة للعرب المسلمين بالجزيرة العربية ؟ أم أنّ هناك دلالات تاريخية على معرفتهم بهذه الأقوام و لو بشكل جزئي أو محدود ؟؟

مما ورد في الأثر " يُروى عن عائشة رضي الله عنها ، أنه دخل عليها ذات مرة رجل من " البربر" و هي جالسة و معها نفر من المهاجرين و الأنصار ، فقامت عائشة لوسادتها فطرحتها للبربري دونهم ، فانسلّ القوم ...، فلما قضى البربري حاجته و خرج ، أرسلت إليهم عائشة ، حتى اجتمعوا إليها ، فقالت لهم : ما الذي أوجب خروجكم على تلك الحال ؟ قالوا لإيثاركم علينا و على نفسك رجلاً كنا نزدريه ، و ننتقص قومه ، فقالت : أتعرفون فلان البربري ؟ قالوا : نعم ، قالت :كنت أنا و رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات مرة جالسين ، إذ دخل علينا البربري مصفر الوجه ، غائر العينين ، فنظر إليه رسول الله ، فقال ما دهاك ؟ فارقتك بالأمس ظاهر الدم فجئتني الساعة كأنما انتشرت من قبر ؟! فقال : : يا رسول الله بت في هم شديد ، فقال : ما همك قال: تردد بصرك في الأمس خفت أن يكون نزل في قرآن ، فقال : " لا يحزنك ذلك ، فإنما ترديدي البصر فيك لأن جبريل عليه السلام جاءني فقال: أوصيك بتقوى الله و بالبربر ، قلت : و أي البربر؟ قوم هذا ، و أشار إليك ، فنظرت عليك ، فقلت لجبريل ما شأنهم ؟ قال : قوم يحيون دين الله بعد أن كاد يموت و يجددونه بعد أن كان يبلى ، ثم قال جبريل : يا محمد دين الله خلق من خلق ، نشأ بالحجاز و أهله بالمدينة خلقه ضعيفاً ثم ينميه و ينشئه حتى يعلو و يعظم و يثمر كما تثمر الشجرة ثم يقع ، و إنما يقع رأسه بالمغرب ، و الشيء إذا وقع لم يُرفع من وسطه و لا أسفله ؛ إنما يُرفع عند رأسه " (المنتديات العامة ، الدفاع عن السُنّة ، فضائل الأمازيغ ، الشبكة الدولية).

" إن هذا الأثر لم يُعثر عليه إلا في كتب الإباضية من دون إسناد ، و ذكره الدرجيني المتوفى ستمائة و سبعين للهجرة ،و لم يثبت له سند متصل و مقبول عن السيدة عائشة رضي الله عنها" (المنتديات العامة ، الدفاع عن السُنّة ، فضائل الأمازيغ ، الشبكة الدولية)

من المعروف أنّ الوضع في الحديث كان ديدن كثير من أهل الفِرق و الأهواء و ليس البربر فقط ، و كان مبعثه سياسي أو ديني أو مذهبي ، في محاولة للبحث عن الشرعية من خلال نِسبة الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم، أو لأحدٍ من صحابته الكرام ، بغرض التأثير عاطفة العامة ، و مخاطبة عقولهم البسيطة عن طريق الدين و المعتقد !

لذلك وجب التنبيه أنّ مثل الحديث السالف الذكر المنسوب للسيدة عائشة رضي الله عنها هو من وضعْ أتباع المذهب الإباضي الذي لاقى إقبالاً واسعاً بين البربر في جبل نفوسة و المغرب الأوسط ، وهو أقرب فِرق الخوارج للسُنّة وأكثرها اعتدالاً ، و في محاولة منهم لإضفاء الشرعية الدينية على وجودهم تم وضع مثل هذه الروايات و نسبتها للنبي الكريم و صحابته ، وأنه – صلى الله عليه و سلم – قد استوصى بهم خيرا ؛ بل و تنبأ لهم —من خلال تلك الروايات – بمجدٍ لا ينافسهم فيه أحد !إذ يُرجع إليهم الفضل في إرساء دعائم الإسلام بالمغرب من جديد !!) ى(الشبكة الدولية ، منتديات الجلفة لكل الجزائريين و العرب " حول هوية الأمازيغ)

إنّ الأثر الثاني الذي ذُكر به البربر في نصوص تُنسب لصحابة رسول الله — صلى الله عليه و سلم – هذا نصّها "...بلغنا أن عمر بن الخطاب استقبل ذات يوم وفداً من قبيلة " لواته البربرية "كان قد أرسلهم عمرو بن العاص حاكم مصر ، و قد اندهش الخليفة لمرآهم إذ كان جميع أعضاء الوفد حليقوا الرأس و الوجه ، فسألهم أمير المؤمنين عن سر ذلك الفعل ، فقالوا : لقد طالت شعورنا و لحانا و نحن كفار وفي جاهلية ، فلما هدانا الله إلى الإسلام أردنا أن نغير مظهرنا كما غير الدين مخبرنا ! ثم جرى بين الخليفة و الوفد حديثاً سألهم : هل لكم مدناً تسكنون فيها ؟ قالوا : لا ، هل لكم أسواق تبيعون و تبتاعون منها ؟ قالوا : لا ، فأجهش عمر بالبكاء ، و أخبرهم ما يبكيه، أنه يوم حُنين بكى لما تولّى المسلمون في ميدان القتال ، فالتفت إليه نبي الله إليه و قال ..."سيفتح الله للإسلام باباً من المغرب، و سيدخل أقواماً يكبرون الله كثيراً و يعزّون هذا الدين و يذلون الكافرين و المشركين ، أقوامٌ يخشون الله ، ليس لهم مدناً يسكنونها و لا ملاجيء يحتمون بها و لا أسواق يبيعون فيها و يشترون ..." ، و حينما ذكر فضائلهم و مناقبهم التي ذكرها النبي صلى الله عليه و سلم— على حد ذكر الرواية — أكرمهم عمر بن الخطاب و أحسن إليهم ، وأمر عمرو بن العاص بأن يجعلهم في مقدمات عسكره— تشريفاً لهم – ، فكانوا مع عمرو بن العاص حتى قُتل عثمان ! (منتديات الجلفة لكل الجزائريين و العرب " حول هوية الأمازيغ ، الشبكة الدولية).

يُروى كذلك رواية تُنسب للصحابي الجليل " عبد الله بن مسعود " أنه قال : " و الذي نفس ابن مسعود بيده لو بلغتهم — أي البربر — لكنت أطوع لهم من خدمهم و عبيدهم و أقرب إليهم من لباسهم .. !" (منتديات الجلفة لكل الجزائريين و العرب " حول هوية الأمازيغ ، الشبكة الدولية).

إنّ استقراء هذه النصوص و الروايات تجعلنا نجزم بأنّها "موضوعة " ؛ بدليل عدم ثبوتها في كتب الحديث الستة وأولها البخاري و مسلم ، ثم إنها لم ترِد في أمهات المصادر التاريخية و عند المؤرخين الثقاة أمثال الطبري و ابن الأثير و اليعقوبي و ابن خلدون المعني بالبربر و المتثبت من أخبارهم ، و غيرهم من مؤرخي التاريخ الإسلامي .

وبمراجعة الموضوع لتلك الروايات على الشبكة الدولية في المنتديات الخاصة بالموضوع ، نجد تعليقاً لأحد المتخصصين بالمنتديات الأمازيغية حول تسلسل أسانيد تلك الروايات المزعومة ! فيقول: "...أنّ بعض الروايات المتواترة عن يحي " و هذا يحي هو أخو عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق ، الذي قتله عبد الملك بن مروان ، و ليس له صُحبة و لا إدراك . و لا أعلم — على حد قوله — كيف

اشتبه على أبي موسى ..فإنه لا حُجة فيه على صحبته (منتديات الجلفة لكل الجزائريين و العرب " حول هوية الأمازيغ ، الشبكة الدولية). و هذا يُضعف القيمة التاريخية للرواية و يزيد من نسبة التشكيك فيها.

و بمطالعتنا لمناقشات المهتمين على هذه المنتديات، رأيتُ بعض مقالات الصفحات الخاصة بملتقيات إخوتنا الأمازيغ ، فمنهم من يهلّل لهذه الروايات التي أكسبتها الصبغة الشرعية من خلال نسبتها للنبي و بعض الصحابة ، لدرجة أن بعضهم يؤكد أن " المهدي المنتظر" سيأتي من بلاد المغرب ! (المنتديات العامة ، الدفاع عن السُنّة ، فضائل الأمازيغ ، الشبكة الدولية)

إن التعامل مع المادة التاريخية و استقراء النصوص بطريقة منهجية البحث التاريخي للوصول إلى نتيجة محايدة ، لا يعني هنا أننا نقلل من الدور التاريخي لمسلمي البربر عبر أيام الفتوح العربية الإسلامية لبلاد المغرب ، ونؤكد على أنّ الإسلام مثّل للعرب و البربر عامل وحدة ثقافية و اجتماعية و عقائدية و سياسية ، تهدف إلى وعي حضاري للفرد يتجاوز الإطار القبلي و العنصري .

الفتح الإسلامي لبرقة ضرورة إستراتيجية مُلحّة:

إن المادة المتوفرة حول حركة الفتوح الإسلامية وصلتنا من كُتّاب عاشوا في القرن الثالث الهجري ، وكتبوا رواياتهم عن أحداث القرن الأول الهجري، تلك الروايات نُقلتْ عن مهتمين بأحداث الفتح وجزئياته ،عن أُناسٍ لم يكونوا بالضرورة شهود عيان لها! الأمر الذي يستوجب الحذر في التعامل مع المادة التاريخية للموضوع ، خاصةً و أنّ معظم تلك الأخبار المنقولة كتبها مؤرخين عرب مسلمين " ...كانوا منبهرين بانتصارات الجيوش الإسلامية ؛ لذلك فإن تاريخهم لا يعدو أن يكون تاريخ المنتصر الذي غذّى المخيال الشعبي وشحنهُ بالرموز والبطولات ، فوصلنا في شكل ملحمة عبّر فيها وجدان المؤلفين .. عن روعة الانتصار ومجد الفاتحين ، وخاصة منهم القادة والزعماء.... (عمامو ، حياة ، أسلمة بلاد المغرب ، ص23،24).

في هذه الزاوية من البحث سنُركز على متابعة حركة المد الإسلامي للمناطق الواقعة غربي النيل، و تجاوز أراضي مصر في اتجاه برقة ،بعد استكمال فتح الإسكندرية ، مع إبراز عدة تعليلات لتبرير زحف الجيش العربي الإسلامي باتجاه الأراضي الليبية (21 – 22 هـ/ 641-642 م)، و الذي من خلاله برزت إشكالية موضوعنا حول آلية التعامل بين الأهالي و القيادة الإسلامية و مبرراتها و تداعيات الحدث و مؤثراته .

إن ما يجب التنويه عليه أن أخبار الفتح الإسلامي – غالباً – ما تخلّلتها روايات " قَصص المخيال الشعبي" التي تركّز على أخبار الفاتحين، وتهوّل بطولات القادة بشيءٍ من القُدسية نيلاً لشرف القبيلة و فرسانها في ميادين القتال ، في حين تظل جوانب مُهمة للموضوع غير مدروسة ، ويعتريها الغموض ، والتناقض أحياناً ! خاصةً ما يتعلق بردود أفعال سكان المنطقة المفتوحة، و تصور شكل المدينة وطبيعة حياة متساكنيها ، وتوصيف تحصينها وقلاعها؟؟ ومدى تجاوب سكانها من عدمه مع الآخر ، المختلف جنساً و ديناً و لغةً و ثقافةً .

إنّ الوقوف على مبررات التقدّم السريع للقائد المسلم "عمرو بن العاص " نحو برقة مباشرة بعد فتح الإسكندرية يطرح تساؤلات عدة : أكانت خطوة التوجه العسكري الجريئة و السريعة نحو البلاد الليبية مُخطّط لها؟؟ و أنّ فتح برقة ضرورة حتمية باعتبار أنها تتبع مصر سياسياً وإدارياً آنذاك؟!، أم أن الغزوات جاءت عفوية و ارتجالية بحكم امتداد الأراضي وتلاحقها ببعضها دون عائق جغرافي يعيق تقدم الجيش و فرسانه؟ و هل كان فتح كل إقليم يقتضي تأمين حدوده بالتوغل إلى الإقليم الذي يليه دون قراءة للعواقب ؟!و هل كان هناك تجاوب من سكان المنطقة تجاه العرب المسلمين ، مما شجع عمرو بن العاص لخوض التجربة ؟!

للإجابة نقول : إنّ فتح المسلمين لمصر بداية النهاية لأملاك الإمبراطورية البيزنطية بالشمال الإفريقي ، و الذي تعدّ فيه مصر أحد أهم قنوات التمويل والتموين لهم ، بسبب خيرات نيلها التي تعدّ رافداً مهماً للاقتصاد البيزنطي ، ثم أن الدافع العسكري والسياسي يفرض نفسه في تلك الآونة ، إذ أن الدخول في الحدود الليبية هو محاولة جريئة لمنع البيزنطيين الذين انسحبت قواتهم من الإسكندرية متقهقرةٍ إلى برقة التي كانت حينئذ تحت الإدارة البيزنطية، فكان يتوجب على القائد عمرو أن يتابع فلول العدو، وألاّ يعطيها فرصة للتجمع وتنظيم قواها من جديد لتهاجم الإسكندرية التي أصبحت في قبضة المسلمين بعد أن كانت حاضرة بيزنطية كبيرة .

تذكر بعض المصادر التاريخية (ابن عبد الحكم ، فتوح مصر و إفريقية صـ170/ ابن سعيد ، صـ44) أنّه بمجرد إتمام فتح المسلمين للإسكندرية أواخر(21هـ / 642م) تقدّم قائد الجيش عمرو بن العاص نحو برقة فاتحاً " فلم يصحبه غير الخيل!" أي كان معه الفرسان فقط ، لا المشاة ! ، ونتيجة صمت الروايات عن التفاصيل يصعب تقدير عدد فرسان هذه الحملة ، رغم تكّهن البعض أنها لم تزد عن بضعة آلاف " غير أنهم لا يستندون على أية حجة أو نص تاريخي – حسب قول بازامه – (تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، صـ 97).

إنّ إقدام المسلمين على هذه الخطوة يدل على الحس السياسي و الأمني للخلافة ، باعتبار أنّ برقة بقيةٌ من أرض مصر، و الحفاظ على الإسكندرية هو حماية للوجود الإسلامي بها، فوجب تأمين الحدود الغربية بشكل استباقي ؛ لأنّ إمكانية مباغتتهم بهجوم مضاد ممكنة في أي وقت ، نظراً لتربص الروم البيزنطيين بهم من ناحية البحر، الأمر الذي يجعلهم في وضعٍ حرج وبين فكي كماشة .

إنّ ضم برقة لدولة الإسلام تخطيط استراتيجي يفرضه الظرف السياسي و العسكري و الجغرافي أيضاً ، ومن جهةٍ أخرى فإنّ سيطرة المسلمين على الإسكندرية كان بمثابة حرب نفسية للروم ببرقة، بثتْ فيهم الرعب و التخوف على وجودهم بالمنطقة .

وتجدر الإشارة إلى أن بعث القائد عمرو بن العاص لحملات استطلاع مُنظّمة قبل ساعة الحسم ، لم يقل به أحداً من المؤرخين – بحسب اطلاعنا – " و لا نستبعد إرسال السرايا الاستطلاعية التي تتقدم الجيش بساعات لتؤمّن الطريق و تحدّد مكامن الخطر التي قد تعترض الجند ، وتُعلمْ القيادات بذلك "(بازامه ، تاريخ ليبيا ...في عهد الخلفاء الراشدين ، صـ 97) .

أما القول بإرسال سرايا عسكرية لبرقة تستشعر تأهب القوات البيزنطية ، و تهدف إلى تمرين العسكر وتحضيرهم للقيام بفتح منظم للبلاد الليبية غرب مصر ، فهذا غير محتمل ، و يبدو صعباً وشائكاً لشساعة الفضاء الجغرافي وتعدّد مسالكه ، و كثرة مخاطره أمام القلة العددية للجيش الإسلامي إذا ما قورنت بقوى البيزنطيين هناك (البرغوثي، عبد اللطيف ، ليبيا من الفتح حتى بداية العصر العثماني ،صـ 33-34) .

لقد كانت الغنيمة عاملاً حيوياً لتقدم المسلمين نحو برقة ؛ فالعامل الاقتصادي لا يمكن فصله عن العوامل الهامة الدينية و السياسية لحركة الفتوح الإسلامية (كرير، زينب ، برقة صمام الأمان لمصر ، 2009،صـ138)، فالغنائم تعني إضافة مورد هام و حيوي لبيت مال المسلمين ؛.وهذا ما عبّر عنه ابن سعيد الأندلسي (المغرب في حلي المغرب ، صـ44) بقوله :" وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون . و لاشك أنّ منصب الولاية يدرّ خيراتٍ كثيرة كإقليم مصر، و أنه كان للوالي فيه حصة وفيرة و مغرية ، و الدليل على ذلك غضب عمرو بن العاص من الخليفة عثمان بن عفان حين أراد أن يجعل عبدالله بن سعد بن أبي السرح على خراج مصر ، و عمرو على الحرب مع الروم ، فردّ رافضاً و قال – على حد رواية البلاذري (فتوح البلدان

، صـ225) : " أنا كماسك قرني البقرة ، و الأمير يحلبها !، و الحلب هو الخراج و الجزية و كل الامتيازات المادية و الشرفية الخاصة بالولاية ، و ما يمكن أن يكون بشكل عام مكسب لخزينة الدولة من خلال تلك الإيرادات في البلاد المفتوحة .

من جانب آخر برزت إبّان تاريخ الفتح العربي الإسلامي إشكالية " هدم الأسوار و قلاع المدن " لليبيا ، وتم تصيدّها من قِبل المغرضين لتشويه حراك الفتح الإسلامي ، فنسبوا للمسلمين هدم أسوار و حصون المدن التي حاصروها ، متناسين أنّ جحافل " الوندال" هم المسؤولين عن الخراب الذي حلّ بالشمال الإفريقي و بمدن ليبيا في القرن الخامس الميلادي (430 م)! ، وأنّ المصادر التاريخية تُشيد بأدبيات القتال في وصايا النبي – صلى الله عليه و سلم – والخلفاء الراشدين من بعده للجيش بعدم التخريب و الحرق و التمثيل و النهب ..الخ و كان الالتزام بتلك الأدبيات آنذاك و– في أحياناً كثيرة – سبباً في دخول العديد من أهل الأقاليم المفتوحة في الإسلام.

إنّ هدم الأسوار و الحصون فكرة قديمة يعتبرها الغزاة من أقوى أسلحة الهجوم ، كما أنّ إقامة الحصون و الأسوار ..من أقوى أسلحة الدفاع على حد ذكر الشيخ الطاهر الزاوي (تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، 2004، صـ37) ، و بالتالي يقرّ الزاوي أنّ العرب هم من خرّب أسوار المدن لأغراض حربية ! ، و هي الخوف من ارتداد أهلها و محاربة العرب من وراء الأسوار ، ... فكانوا يضطرون إلى هدم أسوار المدن التي كانوا يفتحونها ، ثم يتركونها و يذهبون إلى غيرها " (تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، صـ37).

و بمطالعة المادة التاريخية لهذه الزاوية نجد هناك تفنيد وجهة النظر المذكورة أعلاه بالقول : " ... و نحن لا ندري من أين جاء الزاوي بهذه الأخبار ما دام التاريخ العربي في مجموع نصوصه القديمة لا ينسِب إلى عمرو و صحبه أنهم قاموا بشيءٍ من ذلك في برقة ، و لسبب بسيط هو أنه لم تكن آنذاك بالبلاد أسوار قائمة لمدنٍ عامرة !! ؛ و إنما هناك أطلال منهارة و مدن خربة مهجورة ..." بازامه ، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، صـ107) .

بالرغم من أن وجهة نظر الشيخ الطاهر مبرراتها مقبولةٌ نوعا ما ؛ إلا أننا لا نتبناها ، نتيجة تبريرات أكثر منطقية لـ بازامه – رحمه الله –زد عليها أننا نفترض جدلاً أنّ القلاع الرومانية الحصينة موجودة ، فهل كان من السهل على العرب المسلمين هدمها بإمكانياتهم البسيطة التي خرجوا بها من الحجاز ، وهي لا تتجاوز السيوف و الرماح و السهام و الدواب ! فالأمم الكبرى من الفرس و الروم لهم باعٌ طويل و عظيم الشأن في البنيان والتمدن ، و لا مقارنة بينهم و بين أبناء عرب الجزيرة أهل البيئة الصحراوية ، فضلاً عن الوقت و الجهد الذي يستهلكه هدم تلك القلاع ، وانعكاسه على تأخر عملية الفتوح للأقاليم الموالية ، و لذلك كانت المبادرة إلى صُلح لواته استثماراً للوقت بشكل عملي و إيجابي ليتسنى لقيادة الجيش الانطلاق نحو قاعدة جديدة عبر الساحل الليبي في تجاه طرابلس .

صلح لواته ،،، قراءة في الإشكاليات :

كان عمرو بن العاص على رأس جيش يُقدّر بنحو أربعة آلاف رجل من مختلف عامة القبائل التي ساهمت في فتح مصر ، و بشكلٍ خاص أولئك الذين جاءوا مع الزبير بن العوام و يسمون بالمدنيين نسبةً للمدينة . و كانت أغلبية هذه الإمدادات تتكون من عشائر يمنية ، مثل مهرة و حضرموت و خولان و معافر و لخم و الصدف ، بالإضافة إلى عشائر الحجاز مثل فهر و بني عبد العُزى من قريش و الأنصار تحت قيادة عبدالله بن الزبير .(ذنون ، طه ، الفتح و الاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا و الأندلس ، صـ95،96)

لقد قاوم الروم العرب المسلمين في معركة مصيرية لوجودهم ببرقة ، و هذا يجعلنا نؤيد القول بأنّ " برقة فُتحتْ عُنوة " ، أي بالقوة وبعد قتال ضارٍ مع الروم ؛ و لكن لم نجد أثراً بالروايات يذكر أن البربر تحالفوا معهم ضد العرب الفاتحين !.و باستقراء النصوص نجدها تذكر أن عمراً "...صالح أهل أنطابلس و قاتل الروم "؛ الذين استماتوا في معركتهم دفاعاً عن أنفسهم و أمجادهم بالمنطقة ، و استسلموا للأمر الواقع و فرّوا إلى مراكبهم ، و لاذوا بالفرار نحو البحر.

إنّ تفسير عدم مساندة البربر للبيزنطيين بالاشتراك معهم في القتال ضد العرب يفسره بعض المؤرخين بقوله (مؤنس ، تاريخ المغرب و حضارته ، صـ79،80" ... لأنّ الحكم البيزنطي كان ثقيل الوطأة على الناس ، بغيضاً إلى قلوبهم ...، الدولة كانت تأخذ .. ضريبة مالية ضخمة ، و تتقاضاها بالقوة إذا تأخر الناس في الأداء ، فكانت ترسل قوات من الجند المرتزق لتجمع المال المتأخر ..و تشتد على الناس و تنهبهم دون رحمة .. فكان الخلاص منها خلاصاً من بلاءٍ كبير يتحمله الناس دون أن يفيدوا من تلك الدولة أي فائدة " .

و لعلّ الظلم الذي لاقاه أهل لواته من الروم البيزنطيين هو ما دعاهم لاعتناق الإسلام ، " فكانت لواته أول قبيلة تعتنق الإسلام قبل مجيء عمرو بن العاص ، فقد ذهب مجموعة من شيوخها إلى الخليفة عمر بن الخطاب و أشهروا إسلامهم هناك ، و مهّدوا للفتح الإسلامي ، و كان للواته دورٌ في مؤازرة المسلمين الفاتحين سجله التاريخ في صفحات ناصعة مشرقّة " (منّاع ، صـ63،64)

إنّ التُركيّز على مُصالحة القائد عمرو لقبيلة لواته أمرٌ أقرّته الروايات التاريخية المتعلقة بفتح برقة (البلاذري ، فتوح البلدان ، صـ226 / البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، ص صـ11–12) ، والتي نجدها تكتفي بذكر بنوده الثلاث ، دون الإشارة إلتفاصيل أخرى للحدث. و الغريب أنّ البلاذري (فتوح البلدان ، صـ225،226) يذكر " أن عمراً صالح أهل أنطابلس بعد أن حاصرهم و قاتلهم على الجزية) " أهل أنطابلس" أي الروم والبربر على السواء ! .

إنّ الإشارة إلى أن الفتح تم عُنوة ، و تلاه الصلح ! ، (...هذا القول ينسجم مع المنطق السليم؛ إذ ليس من المعقول أن يتخلى الروم بها عن مقاومة جند الفتح و محاولة إيقاف زحفه ، ... ومما لا يسهل تبريره أنّ الروم ... قد تخلوا عن فكرة القتال وآثروا الاستسلام لعمرو بن العاص ،... و ليس من المعقول أن يُسلّم أهل أنطابلس و يرضخوا لشروط الجزية و هي لا تخلو من إذلال دون أن يكونوا قد غلبوا على أمرهم في القتال و في رد الغزاة ؛ اللهم إلا إذا كانت هناك أسباب أقوى حملتهم على القبول بهذه المصالحة و الرضا بشروطها .." (بازامه ، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، صـ106).

و في معرض رأياً آخر(الطاهر الزاوي ، تاريخ الفتح العربي لليبيا ، صـ34،35) يبرّر ركون أهل لواته إلى الصُلح بانتشار أخبار فتح مصر و الإسكندرية في كل البلاد المجاورة لهما ، و قد اشتملتْ هذه الأخبار على ما أبداه العرب من شجاعة في مقاتلة العدو ، وما أظهروه من عدالة في أحكامهم و مساواة بين الناس في الحقوق و احترام معابد المسيحيين و اليهود و أملاكهم و أعراضهم ، فكانت هذه الأخبار مرهبة لسكان برقة ، و مثبطة لعزائمهم ..و باعثاً لرغبتهم في التخلص من حكم الروم الذين سلبوهم نعمة الحرية واتخذوا منهم عبيداً ومن برقة مزرعة يعملون فيها ليوفروا لهم رغد العيش .. و هم محرومون من كل شيء ... حتى اضطر الكثيرون منهم إلى احتراف اللصوصية لكسب لقمة العيش " !.

شروط الصلح :

يبدو أنّ الفاتحين – بصفة عامة – كانوا في المعاملة يميّزون بين الوطني الأصيل و الحاكم الدخيل ! و يعتبرون أهل البلاد الأصليين محور سياستهم في الأقاليم التي افتتحوها : فهم في برقة قد صالحوا أهل أنطابلس و حرصوا على العهد الذي قطعوه على أنفسهم لأهلها ، و هم في مصر صالحوا القبط و حرصوا على أن تكون لهم الشخصية الوطنية البارزة بها ، ..و خيّروا الروم بين البقاء أهل ذمة ..و بين الخروج من البلاد آمنين..، و معنى ذلك أن الروم البيزنطيين قد عُوملوا معاملة الخصوم ، و لكنْ في عدل ...و من الطبيعي أنّ البربر ...يمثّلون فئة أهل البلاد الأصليين في نظر الفاتحين .." (بازامه ، تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ،ص 56،57)

تبدو الصورة برجوع عمرو بن العاص إلى مصر بمجرد المصالحة ، وكأن دخول المسلمين لهذه المناطق هو تعبير عن إثبات وجود سياسي ليس إلا، بدليل أنه– أي القائد عمرو– لم يُعيّن من يمثله في هذه النواحي خلال مراحل الفتح الأولى! وإن إذعان أهل برقة للصُلح حقنوا به دمائهم ، وآمنِوا به على أملاكهم ، و أقرّوا ضمنياً الاعتراف بالإسلام ديناً و دولة ، و نص ابن خلدون (العِبر، مج2، 573) بقوله" ...فصالحه أهلها ..." ينبئ أنهم هم من بادر بالصلح ، فلو قال " صالح عمراً أهلها ، نفهم أن المبادرة منه لا منهم ، و في كل الأحوال" .. يبدو أنّ عمراً استطاع بدهائه ..أن يستميل البربر إليه .." (بازامه ، تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ،ص108)، و تفاوض معهم بشأن شروط الصلح ، و هي كالتالي:

أن يدفع أهل أنطابلس للمسلمين جزية سنوية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار " فرعوني" *

أن يُسمح لأهل أنطابلس ببيع من أرادوا من أبنائهم في دفع الجزية

أن لا يدخل البلاد جابٍ ، و أن يتعهدوا هم بحملها إلى بيت مال المسلمين بمصر.

و يقول أحد البُحّاث (المزيني ، صالح ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى الخلافة الفاطمية ، ص174) في شأن إشكالية بيع الأبناء في صُلح لواته "... من المستبعد أن يطلب العرب منهم بيع أبنائهم في حال عجزهم عن دفع الجزية ، و يعتقد أنهم هم الذين اقترحوا على عمرو ذلك ، مبالغةً منهم في إظهار حسن نيتهم .و قد كان بيع الذراري و الأبناء للوفاء بالجزية أمراً شائعاً عند البربر في ذلك الحين ، فلم يكن أمام عمرو إلا الترحيب بهذا العرض !!" .

بتأمل هذا النص لا يمكننا تقبّل تبريراته ! ، إذ كيف يقترح أهل لواته تسليم أبنائهم لفي مقابل الجزية ؟! و مهما كانت الأسباب هل تصل " المبالغة بإظهار حسن النوايا للمسلمين" – على حد ذكر الباحث – لدرجة يتنازل الوالد عن ولده ؟! كيف يرضى الإسلام أن تُثكل أمٍ بولدها ؟ و أختٌ بأخيها ؟ و ما في ذلك من أثرٍ نفسي و اجتماعي للجميع ، هل يُرضي هذا الشتات الله و رسوله ؟!! ماهي مبررات ذلك ؟ أهي لعجز الأهالي الفقراء ، أم ممارسات ابتزازية و مساومات عجرفة القوي المنتصر للفقير المعدم ؟!!

كيف يمكننا أن نقنع الآخر بدين الحريات و حقوق الإنسان ، و قوّاد جيشه يقبلون ببيع الذراري و الصبيان و كأنهم في سوق للرقيق ؟! و كلمة " بيع " لوحدها تُدين كُنه الدين الإسلامي الذي جاء ليحرر الإنسان من الظلم و الجبروت ، وكل ما من شأنه أن يهين كرامة بني آدم ، مهما كان جنسه و لونه و ديانته !

إنّ من الإنصاف القول أن الشرط الثاني و الثالث لا يمكن أن يصدرا عن عمرو بن العاص ، خاصةً و أن شرط بيع الأبناء لم يتكرر حدوثه في أي بلد من البلدان التي افتتحها المسلمين !! ، و هذا يعني أنّ عمراً لا يمكن أن يقترحه و لا يعقل أن يفرضه "(بازامه ،

ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، ص109)، و هو أمرٌ غير مألوف عند العرب ، و من الثابت تاريخياً أنّ عمر بن عبد العزيز رفض بيع نساء لواته وامتهان كرامتهن ، و كتب كتاباً في ذلك قائلاً : إنّ من كانت عنده لواتيه فليخطبها إلى أبيها أو فليرددها إلى أهلها "! (البلاذري ، فتوح البلدان ، ص227)، وهذا هو جوهر الإسلام و روحه السمحة.

إنّ الرد على القول إن بيع الأبناء كان شائعاً عند البربر ! فنعتقد – جزماً – أنه في الأحوال الطبيعية لا يمكن! ؛ إلا إذا كانت السياسة البيزنطية هي من أقرّت و أشاعت ذلك بينهم ، نظراً للضرائب الكثيرة و الباهظة التي تُفرض على رعاياهم ، و كان أهل لواته ببرقة مغلوبين على أمرهم ، فيضطرون إلى التخلي عن أبنائهم الذين بدورهم سيكونون مجنّدين في الجيش البيزنطي و في الصفوف الأولى و كبش فداء عند الحرب مع أعداء الإمبراطورية !! .

نستطيع القول إن اللقاء الأول الذي جمع العرب المسلمين مع بعض القبائل البربرية لم يتعد كونه لقاءً سطحياً عرضياً لم يشعر البربر خلاله أن الإسلام يلزمهم كدين، حتى ما ذُكر عن مبادرتهم إعلان إسلامهم بقدومهم على عمرو في مصر أو على الخليفة عمر بن الخطاب – إنْ صحت الرواية – ما كان إلا استسلاماً للأمر الواقع ؛ لذلك آثر المسيحيين منهم دفع الجزية و اشترطوا كيفية جبايتها، ووافقهم عمرو على ما أرادوا من شروط المهادنة.

الشرط الثاني في الصُلح حول الآلية التي يتم بها الدفع و الاستلام ، فاشترطوا أن يبعثوا هم بخراجهم إلى والي مصر" من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث "على حد قول البلاذرى (فتوح البلدان ، ص227).و هذا يعكس لنا مخاوف البربر من تكرار ظلم جُباة الخراج و الأتاوات عليهم ، وتمّ لهم ما أرادوا في إشارةٍ لهم أن المسلمين مختلفون تمام الاختلاف عن الروم البيزنطيين ، و ثبت أن عمرو بن العاص أنه كان حريصاً على تذكير معاونيه من الولاة بضرورة احترام الاتفاق مع أهل أنطابلس " ، فقد قال لهم وهو على المنبر " لأهل أنطابلس عهدٌ يُوفى إليهم " (البكري ، ص5) ؛ مما يعكس حرمة المواثيق و العهود في صدر الإسلام الأول .

وتجدر الإشارة إلى أنّ سيرة برقة و البلاد الليبية كافةً كانت – على الغالب – يسودها الأمان و السلام ، و بعيدة عن فتن الحروب و المشاحنات كما الحجاز و الشام و العراق أيام الفتنة الكبرى ، ففي رواية البلاذري (فتوح البلدان ، فتوح البلدان ، ص226) " ... و لم يدخلها فتنة " ، و لعل هذا ما دعا بعبد الله بن عمرو بن العاص إلى القول : " لولا مالي بالحجاز ، لنزلتُ برقة ، فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها " (البلاذري ، فتوح البلدان ، ص226).

الشرط الأول للصُلح تضمن دفع ثلاثة عشر ألف دينار للجزية ، دينار عن كل حالم ، يقول ابن عذاري (البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،مج 1 ، ص8) :" ..ثم توجه عمرو بنفسه إلى برقة ، فصالح أهلها إلى الجزية، دينارٌ على كل حالم .." ، ومن الواضح أنها جزية كبيرة بالنسبة لقبائل بربرية من رعاة الماشية ...و قبول اللواتيين لأداء الجزية دون مناقشة طويلة يدل على أنهم كانوا يؤدون للروم أكثر من ذلك بكثير ! ".(مؤنس ، تاريخ المغرب و حضارته ، ص80)

" إذا كان عدد البالغين فقط ثلاثة عشر ألفاً ... و ليس من المعقول ألا يتجاوز سكان الإقليم هذا العدد بكثير ، مما يحملنا على القول أن الصلح و الجزية إنما اقتصرا على من تمسك بدينه و لم يدخل الإسلام ، فالعدد يقصد به النصارى من أهل لواته ، و من أسلم منهم صُولح على العُشر و نصف العشر تطبيقاً للشريعة الإسلامية التي تكفل العدالة للجميع " (بازامه ، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، ص111) .

يتساءل أحد المؤرخين (مؤنس ، تاريخ المغرب و حضارته ، ص80)(و يرد على تساؤله تباعاً ، بقوله :" على أي حال لا نفهم كيف اكتفى عمرو بأخذ الجزية و العودة إلى مصر ، كأنما كان هدفه هو جمع المال لنشر الإسلام وليس مد حدود الدولة ، و التفسير الوحيد لذلك هو أن برقة كانت جزءاً من مصر، فهي داخلة في صلح القبط مع العرب ". يقول أحد المؤرخين: (عصر الخلافة الراشدة ، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدّثين ، موقع أرشيف الإسلام ، الشبكة الدولية ،2016 م)" ... فهذه الآثار ذكرها البلاذري بهذه الأسانيد في كتابه فتوح البلدان ، كما وردت روايات بمعناها في مصادر أخرى ؛ إلا أن كل هذه المرويات لم يصح منها شيء ! ، إضافةً إلى أنّ ظاهر هذه الشروط يتعارض مع ما هو معروف بالشروط العمرية!...و لم تصح أية رواية فيما يتعلق بجزية أهل برقة في ليبيا ، و زويلة في حدود السودان ...و تذكر رواية ضعيفة أنّ عمرو بن العاص صالح برقة على جزية قدرها ثلاثة عشر ألف دينار ..و يُلاحظ ان هذه الرواية الضعيفة أنهم خُيروا أن يبيعوا في جزيتهم من أبنائهم من أحبوا بيعه ! و هذا الأمر مخالف للقاعدة العمرية – العهدة العمرية***– في أن لا يُكلّفوا من الجزية مالا يطيقون ؛ بل تسقط عليهم إذا عجزوا عن أدائها ، فكيف يُكلّفون بيع أولادهم فيها ؟!! تتبنى الدراسة هذه الرؤية المعتمدة على منهج البحث التاريخي ، و إنّ إيرادنا لمثل هذه الآراء الفريدة في الطرح والاستقصاء ، هو بمثابة تنبيه جدير بالاهتمام لإعادة النظر في التعامل مع النصوص التاريخية المسلّم بها عند غالبية البُحّاث و الأكاديميين .

بعد تجاوز محنة " الفتنة الكبرى "إبّان مقتل الخليفة عثمان بن عفّان ، واستقرار البلاد الإسلامية أيام الحكم الأموي عام (41هـ / 661 م)،استؤنفت من جديد حركة الفتح الإسلامي نحو المغرب لتكن برقة مركزاً استراتيجيا تنطلق منه الحملات العسكرية بقيادة خيرة القادة ، لتصبح برقة معسكراً حيوياً للإمدادات القادمة من مصر، و محطةً هامةً للمعسكر الإسلامي بعد التراجع إثر الهزائم التي لحقت بالجيوش الإسلامية بالبلاد المغاربية مراراً و تكرارا.

الخـــــاتمـــة:

اهتمت هذه الدراسة المتواضعة باستقصاء أخبار الفتح العربي الإسلامي لبرقة من خلال روايات المؤرخين ، و تسليط الضؤ بالنقد و التحليل على أبرز إشكالياته ، و تم التوصل إلى التالي :

إنّ ضم برقة للدولة إبّان إحكام سيطرة العرب المسلمين على الإسكندرية أواخر، لهو تخطيط استراتيجيي فرضه الظرف السياسي و العسكري و الجغرافي أيضاً ! باعتبار أنّ برقة امتداداً طبيعياً لأرض مصر،والحفاظ على الإسكندرية هو حماية للوجود الإسلامي بها ، فوجب تأمين الحدود الغربية بشكل استباقي ؛ لأنّ إمكانية مباغتتهم من الروم البيزنطيين ببرقة في أي وقت.

– لقد كانت الغنيمة عاملاً حيوياً للفتح الإسلامي ، فالعامل الاقتصادي لا يمكن فصله عن العوامل الهامة الدينية و السياسية و غيرها لحركة الفتوح الإسلامية ، فالغنائم مكسب مهم و حيوي لبيت مال المسلمين على المستوى العام ، و على المستوى الشخصي هي عامل إيجابي محفّز للجنود ، مصداقاً لقول البلاذري في فتوح البلدان " ...فخرجوا بين محتسبٍ و طامع " ! فليس كلهم قد نذروا أرواحهم للشهادة ؛ بل هناك من كانت الغنيمة و السبي عامل أساسي في خروجه مع الجيش

– يعتبر "البربر الأمازيغ "– على اختلاف قبائلهم – هم السكان المحليين للبلاد الليبية إبّان الفتح العربي الإسلامي ، وهم في تركيبتهم الاجتماعية شأنهم شأن العرب قبائل وأفخاذ تتصل ببعضها بروابط دموية قد تكون صحيحة وسليمة أو منتحلة بحثاً عن الشرعية ، وأشهر الروايات المتحدثة عن أصولهم و قبائلهم ومواطن تجمعهم بليبيا ، نجدها بتفصيلات دقيقة عند ابن خلدون و ابن عبد الحكم

واليعقوبي و بعض كتب الرحالة والجغرافيين؛ إلا أنّ استقراء النصوص و الروايات التي نُسبت للسيدة عائشة و عمر بن الخطاب و ابن مسعود التي تخلع ثوب القداسة و الوصايا الدينية من الرسول – صلى الله عليه و سلم – على البربر ، و تتنبأ بمجد إسلامي منهم و لهم ، تجعلنا نجزم بأنّها " روايات موضوعة " ؛ بدليل عدم ثبوتها في كتب الحديث المشهورة كالبخاري و مسلم ..الخ ، ثم أنها لم ترِد في أمهات المصادر التاريخية و عند المؤرخين الثُقاة أمثال الطبري وابن الأثير و ابن خلدون و البلاذري غيرهم ، و هذا يُضعف القيمة التاريخية لتلك الروايات ، و يزيد من نسبة التشكيك فيها .

إنّ هذا لا يعني أننا نقلل من الدور التاريخي و البطولي " لأمازيغ البربر" بعد أسلمة البلاد المغاربية ، ونؤكد على أنّ الإسلام مثّل للعرب و البربر عامل وحدة ثقافية و اجتماعية و عقائدية و سياسية ، تهدف إلى وعي حضاري للفرد يتجاوز الإطار القبلي و العنصري المتعنّت الذي سجلته بعض روايات كتب التاريخ للبعض ، و لا يمكننا تعميمه على الجميع.

إنّ المطالع لنصوص المصادر التاريخية للشرق الليبي يُكوّن فكرة واضحةَ المعالم عن توافق الملامح الديموغرافية لمجتمع برقة ، والتشابه الكبير بينه و بين الإسكندرية، حيث كان مجتمعاً فسيفسائياً يضم خليطاً من شعوبٍ وحضارات ضاربة في العمق التاريخي ؛ إلا أنّنا نجد أن الخصوصية التي حظي بها العرب المسلمين تدريجياً منذ الصُلح مع بربر لواته عام (22 هـ/ 642 م)، كان بداية الانصهار المجتمعي بين الطرفين – رغم كل الظروف السياسية و الاقتصادية المواكبة للحدث ، و ما تبعها من تداعيات ساهمت في بطء ذلك التشكّل الفريد للبلاد الليبية.

لقد شكّل أحد بنود صلح لواته " شُبهة " كبيرة على القادة المسلمين و تعاملهم مع الآخر؛ إذ نجد أنّ عمراً بن العاص اشترط عليهم بيع أبنائهم إذا ما عجزوا عن دفع الجزية !! و نحن هنا كبُحّاث متخصصين يجب أن نتعامل بالشك في الرواية وفق منهج البحث التاريخي ، حتى تتوافر جميع بيانات إصدار الحكم على الرواية ، فبيع ألأبناء لا يتناسب مع الخلفية الدينية و لا التاريخية للمسلمين ، فوصايا النبي للقادة بعدم القتل والتخريب و الحرق و الابتزاز لازالت منهجاً إنسانياً يتخطى كل مظاهر التمييز من حيث الجنس و اللون و الدين ، و تبنّاها الخلفاء الراشدين من بعده

من خلال تصفح مادة البحث ، و من بين كل النصوص المتشابهة و الآراء المنبثقة عن الدراسات التقليدية نجد تصريح خطير للدكتور" أكرم ضياء العمري " الذي ذكر أن كل مرويات الصلح بخاصةً بيع الأبناء – لم يصح منها شيء ! ، إضافةً إلى " أنّ ظاهر هذه الشروط للرواية الضعيفة ...مخالف للعهدة العُمرية ، التي حذّر فيها عمر بن الخطاب أنْ يُكلّفوا من الجزية مالا يطيقون ؛ بل تسقط عنهم إذا ما عجزوا عن أدائها ! ، فكيف نوفق بين هذه المتناقضات؟! خاصةً إذا علمنا أن العُهدة العمرية و صلح لواته وقعا في نفس عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، و هذا يدحض وقوع الحدث و يخلّ بمصداقيته ، فكيف لعمرو بن العاص – وهو القائد الميداني في ساحات القتال– مخالفة منهج خليفة المسلمين الذي شهد له أعداءه بالعدل ؟!! ، كيف له امتهان كرامة الإنسان و مساومته في أعز ما يملك ! بيع أولاده !!.

من خلال هذه الدراسة المتواضعة أكاد أجزم أن هذا الشرط موضوع و لم يقع أصلاً ، و لا أساس له من الصحة .

التوصيات :

لم يحظ التاريخ الليبي في القرن الأول الهجري بدراسات مُعمّقة من قِبل البُحّاث و المهتمين ، عدا بعض الدراسات التي كان لها الفضل في إثراء المكتبة العربية بشكلٍ عام ، و قد ساهم ذلك في أن تبقى تفاصيل دقيقة فيه غير معلومة ، أو لا يمكن الجزم بكُنهها

!فتحتاج إلى وقفة جادة و حيادية من باب إيماننا بهويتنا الوطنية و بعمق قضايا تاريخنا الليبي في كل عصوره ...أمام ذلك نوصي بالآتي :

نشر كتاب الأستاذ " محمد مصطفى بازامه " فقيد المكتبة الليبية– رحمه الله تعالى– و الذي لم تعدْ طباعته ، و المعنون بـ " ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين " دار مكتبة الفكر ، طرابلس، ليبيا، 1972 م . و إعادة نشر كتاب د. " إحسان عباس " تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري ، دار ليبيا للنشر و التوزيع ، بنغازي ، ط1 ، 1967م

نتمنى على القائمين على الخطط الإستراتيجية للتعليم العالي التركيز على جودة المسار الأكاديمي للدراسات التاريخية ، و لفت انتباه المختصين و المهتمين بضرورة التركيز على قضايا التاريخ الليبي الاجتماعي و الاقتصادي ، و الخروج من نمط التعليم التقليدي بمواكبة الحداثة ، و المساهمة في كتابة التاريخ الليبي وفق أسس منهجية متينة .

التوصية بنشر كل الرسائل العلمية المتعلقة بالتاريخ الليبي في الجامعات العربية عامةً و المصرية خاصة ، إذ لازالت – وللأسف – وقفٌ على أرفف مكتبات الدراسات الأكاديمية العليا، و هي تمثّل إثراء جيد و إضافة علمية رصينة للمكتبة الليبية ، و نشرها يقطع الأمل ؟؟على كل من تسوّل له نفسه السرقات الأدبية التي وقفنا عليها مراراً مؤخراً– للأسف –

قائمة بالمصادر و المراجع المعتمدة:

1 –البكري (أبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز ، ت.487هـ) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، تح : حماه الله ولد السالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2013 م ، ط 1.

2– الاصطخري (أبي إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي . ت "في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)، المسالك و الممالك ، (تح) : محمد جابر عبدالعال ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، تقديم : د. عبد العال عبد المنعم الشامي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2004م ، ط3 .

3– ابن أبي دينار ((محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني وفاته غير محددة ، و مقدّرة ب 1690) ، المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ، تح: محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ط2 ، 1967م

4– ابن خلدون ، (عبد الرحمن بن محمد... ، ت ، 808هـ) ، تاريخ ابن خلدون المسمى : " ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" ،ضبط المتن ووضع الحواشي و الفهارس : خليل شحاته _ مراجعة : سهيل زكّار ، دار الفكر ، ج 6 ، 1996م ، ط3،ج6.

5–البلاذري (أبي الحسن أحمد بن يحي ، " ت" 279هجري ") فتوح البلدان، (تحقيق) رضوان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م .

6– ابن الأثير ، (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ، "ت 630هـ)،الكامل في التاريخ، مؤسسة التاريخ العربي ، " تح" : مكتب التراث ، بيروت ، ط1 ، 1989م ، ج 2.

7–(شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1995،ط2 ،ج 1.

8– المقدسي(شمس الدين أبي عبدالله (محمد بن أحمد "ت" : 380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، علق عليه ووضع حواشيه ، محمد أمين الضنّاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ،2003 ، ط1 .

9- اليعقوبي ، (أحمد بن أبي يعقوب) ، كتاب البلدان :(تح) محمد أمين، دار الكتب العلمية،بيروت،2002،ط1.
تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، مج 2 .
10-ابن منظور ،(محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الخزرجي ، "ت " 711هـ) ، ، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003، مج1.
11– ابن عبد الحكم (أبو القاسم بنعبد الرحمن بن عبدالله ت.257هـ) فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي، القاهرة ،1991، ط1.
12–ابن سعيد (على بن موسى): المغرب في حلي المغرب، (تح) محمد شوقي ضيف وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، 2003، ط1 ، ص 44.
13–البكري ،(أبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز ، ت.487هـ) ،المسالك و الممالك ، (تح) ، جمال طُلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003، ط1 .
14 – ابن عذاري (أبو عبدالله محمد بن محمد ت. 695 هـ) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، (تح) : ج .س كولان و ليفي بروفنسال و آخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2009 م، ط1 ، مج 1 .
15 – إسماعيل كمال الأرناؤطي الألباني ، ص24-25.(الشبكة الدولية).
16-بازامه ، محمد مصطفى ، تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية، ضمن أعمال المؤتمر التاريخي" ليبيا في التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي، 1968.
– ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس، ليبيا، 1972م.
17- البرغوثي ، عبد اللطيف ، التاريخ الليبي القديم ، دار صادر، بيروت،1971م ، ط1، ص489.
تاريخ ليبيا من الفتح حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، دار صادر، بيروت، 1971م.
19 –جون رايت ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور،تعريب : عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازوري ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ، 1972 م ، ط1 .
20–الزاوي ، الطاهر ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، توزيع و نشر دار أويا ، طرابلس ، 2004 ، ط4.
21 – عمامو ، حياة ، أسلمة بلاد المغرب ، دار أمل للنشر ،صفاقس ، 2004، ط2 .
22- عبد الواحد ذنون طه ، الفتح و الاستقرار العربي الاسلامي في شمال إفريقيا و الأندلس ، ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، توزيع و نشر دار أويا ، طرابلس ، 2004، ط1.
23–العمري ، عصر الخلافة الراشدة ، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدّثين ، موقع أرشيف الإسلام ، الشبكة الدولية ،2016 م
24- عمر طوسون ، مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000م ، ط2 .
المزيني ، صالح ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى الخلافة الفاطمية

25- مؤنس ، حسين ، تاريخ المغرب و حضارته ، من قبيل الفتح إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر " ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، 1992 م ، ط1.

26- منّاع محمد عبد الرازق ، الأنساب العربية في ليبيا ، شركة المختار للطباعة و النشر ، الإسكندرية ، ط2، 1991.

27- وديع ، فتحي عبدالله ، العلاقات السياسية بين بيزنطة و الشرق الأدنى الإسلامي ، تقديم ، جوزيف نسيم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1990، ط1 .

28- يوسف يوسف ، العُهدة العمرية ، وثيقة تشويه للحقائق التاريخية ، صفحة الحوار المتمدن ، الشبكة الدولية ، 28-2-2022

29- زحير ، هاني مهدي ، الصراع على العرش في بيزنطة،(610 –668مالأسباب و النتائج) ، مجلة كلية الآداب ، قنا ، ع 54 ، يناير 2022.

30- برقة صمام الأمان لمصر ، زينب عبدالله كرير ، منشورات بحوث وأعمال مؤتمر مركز البحوث و الدراسات الإفريقية ، القاهرة ، 2009.

31–أمازيغ جزائر ليبيا مغرب تونس موريتانيا ، أسبانيا، الشبكة الدولية ، 15.5، 2018م.

32- الشبكة الدولية ، الموقع : " منتديات الجلفة لكل الجزائريين و العرب" حول هوية الأمازيغ.

**ذكر بعض المؤرخين أن اسم برقة "Barca" ورد لأول مرة في تاريخ هيرودوت، وظهر في التسمية تأثيراً مصرياً فرعونياً واضحاً، فالكلمة –برقة–من الجائز أن تكون مركبة من كلمتين مصريتين قديمتين هما: "بر" ومعناها بيت أو معبد، و"كاو " ومعناها " القرائن " .. أو القرين ... والـ"كا".....عالم ما بعد الحياة، ...وسيد هذا البيت هو " إزيريس" إله الغرب وملك عالم ما بعد الحياة . لمزيدٍ من التفاصيل ، أنظر: محمد مصطفى بازامه : تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية، ضمن أعمال المؤتمر التاريخي" ليبيا في التاريخ "، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي، 1968،ص88 / و برقةهي التسمية العربية التي أُطلقت على الإقليم بعد الفتح الإسلامي لها ووردت في وصف البكري (أبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز ، ت.487هـ) لها قائلاً : " برقة و اسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس ، تفسيره خمس مدن ..." للمزيد ، أنظر ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، تح : حماه الله ولد السالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2013 م ، ط 1 ، صـ10 .

و كانت تسمى " بنتابوليس " أي المدن الخمس الرئيسية ، و هي قورينة و برنيق و تيوكرة و أبولونيا" في العهد البطلمي " . أنظر : بازامه ، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس، ليبيا، 1972، صـ17 بالهامش.

** لواتة : . أصل الاسم " لوا" و زيادة الألف و التاء للجمع – على حد ذكر ابن خلدون – فصارت لوات ، فلما عربته العرب حملوه على الإفراد و الحقوا به هاء الجمع .ولواتة هي إحدى قبائل الأمازيغ الكبرى من بربر البتر ، و تنتسب إلى " لوا الأصغر" " نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادغيس الأبتر ، و هناك زعمٌ بأن لواته ترجع في أصولها إلى قبيلة " الليبو " إحدى القبائل الليبية البائدة ببرقة ! و قد صرّح الكاتب " فرنسيس رود في كتابه " الطوارق الملثمين " حيث قال " أن قبائل لواتة التي عرفها العرب أول ما عرفوا ليبيا هي بعينها قبائل الليبو القديمة التي كانت تسكن ليبيا الشرقية " . للمزيد أنظر الشبكة الدولية " النت " صفحة (أمازيغ الجزائر ليبيا مغرب تونس موريتانيا مصر ، الشبكة الدولية) / للمزيد من التفاصيل حول بربر بلاد المغرب أنظر : الأصطخري (أبي

إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي) ت "في النصف الأول من القرن الرابع الهجري" المسالك و الممالك ، (تح) : محمد جابر عبدالعال ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، تقديم : د. عبد العال عبد المنعم الشامي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2004م ، ط3 ، صـ 36.

تجدر الإشارة إلى أنّ لفظ "أمازيغ الذي ارتبط باسم البربر لفظ مجهول الأصل لا نعرف له معنى على التحقيق ، و الغالب أنه رطانة سكان الصحراء القدامى – أجداد الطوارق – مازال بعضهم يتكلم بها و هي تسمى " تمازغت "..." للمزيد أنظر : مؤنس ، حسين ، تاريخ المغرب و حضارته " من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر " ،العصر الحديث للنشر و التوزيع ، 1992، ط1 ، صـ63.

***يتفرّد الشيخ الطاهر الزاوي– فيما طالعنا من مصادر و مراجع تخص موضوع شروط الصلح – بقوله 13الف دينار " فرعوني " ! و من المعروف أن الدينار البيزنطي الذهبي هو العملة الرائجة آنذاك ، فكيف للروم أن يتعاملوا بعُملة فرعونية قديمة الأزل؟؟ و بمراجعة دراسة بحثية مختصة بالقطاع الاقتصادي و دسمة بمعلوماتها التاريخية الدقيقة ، لم نعثر على تفسير لإيراد لفظ " دينار فرعوني " أيام الحكم البيزنطي لمصر و برقة .